الجريح

للكاتب الناشئ الجزائري بن جدية باسم ♕
بداية تحقيق الحلم.

المقدمة: «الجريح»

في كل يوم...

في كل ساعة..

في كل دقيقة...

وفي كل ثانية من حياتنا نحس أننا نستحق حياة أفضل من التي لدينا.

وما الذي لدينا تحديدا؟...

هنا يكمن السر .

في هذا السؤال الصغير. وبين كل حرف وحرف منه توجد قصة. قصة لفتى ترعرع وكبر بين أحضان عائلة فقيرة ونشأ في رعايتها وكبر وأصبح يافعا تحت أحضانها. كانت عائلته هي السند الوحيد له . السند الذي دفع به للأمام في كل مرة أَحس فيها بالألم. بالوجع. باليأس وبالخيبة. كانت عائلته هي كل شيء بالنسبة له،

. كان بطل روايتنا طالب في الثانوية. لم يكن مجتهدا كثيرا في دراسته. لم يكن يحب التواجد بالمدرسة حتى.

لكنه كان ذكيا بما فيه الكفاية ليتمكن من فهم قبح الحياة ودنوِّها . كان دائما يقول أن التفكير موت بطيء. لم يفهم أحد عليه

هناك من قال أنه جُنّ جنونه

وهناك من قال أن ما يحدث معه نتيجة مكوثه الدائم في البيت وعدم خروجه للمجتمع.

وأكثر ما كانوا يرددونه أن كل ما يحدث معه كان بسبب ما يقرأه.

لكن كان يرد عليهم بجملة واحدة(المجتمع يسبب الصداع)

هذه كانت إجابته دائما.

كان بطلنا كثير المطالعة ومولعا بكتب الفلسفة خصوصا.

قرأ لدوستويفسكي وشوبنهاور .

ولم يكن يفضل أحدا على فريدريك نيتشه. ذالك الفيلسوف الألماني الذي يدعو الى الإيمان بالذات والذي يشهد نبذا كبيرا من المجتمع وهذا خصوصا ما جعل بطلنا يحبه... كُره الناس له.

كان يؤمن بأن كل ما كرهه المجتمع يفيد فردا منهم فقط. الناس لا تحب للفرد أن يخرج من القطيع ناجحا تحت شعار (إما كلّنا او لا أحد منا)

قرأ بطلنا له كثيرا. فهم معنى الحياة من عنده. وخرج عن القطيع... لم يخرج ناجحا ماديا. لكنه قال أن ا الخروج عن القطيع هو النجاح الحقيقي، لا المال نجاح ولا الحب نجاح ولا رضا الناس نجاح.

النجاح الحقيقي يكمن في الانفراد بتفكيرك وعدم السماح للعوامل الخارجية بالتأثير على انفعالك وتصرفاتك، هذا كان تعريف النجاح بالنسبة له...

«الجريح-1-»»

....

حقا إن لكل إنسان آلامه. الجميع يتألمون. حتى أسخف البشر وأشدهم غباء وإثارة للاشمئزاز لهم آلامهم. وهذا ما يكفي لينال احترامك. تنتابك رغبة باحترام جميع البشر حين يقصون عليك آلامهم.

باولو سورنتين

.

.

.

اليوم سأقصّ عليك آلامي. ليس كلها. لكن أكثرها تأثيرا، ليس بهدف نيل احترامك بل لأحيي فيك الشعور بالناس والإيمان بأن القلوب قابلة للكسر . ليست السيوف فقط من تخترق القلوب. أحيانا ما يُحدثه لسان المرسل من كسور يفوق ما تُحدثه السيوف من اختراقات...

الكسور تجبر. والجراح الدامية تلتئم. أما جراح القلب وجراح الروح فلا علاج لها سِوا بلسم واحد، ليس ببلسم نادر جدا فمعظمنا نملكه. لكن ليس كلنا يقدمه.

ليس لأن ثمنه باهظ .

بل لأن الأقلية فقط من تستطيع نقله صافيا لا تلوثه بقايا الحسد والغيرة والكره والنفاق خصوصا.

العناق... العناق هو بلسم جراح الروح . ليس عناق الأب ولا عناق الأخت ولا حتى عناق الأم.

إنه عناق الحبيب. لا يكمن السر العلاجيُّ له في دفئه ولا في شدته بل في قدرته على مشاركة الأفكار من دون كلام. ولا حتى كلمة. فقط العناق. المزيد والكثير منه كفيل بمعالجة الروح والجسد والعقل، عندما يتوقف النفس من شدته هناك يجب أن تعرف بأن عملية الاستشفاء أوشكت على نهايتها...

ستبلغ روحك أقطار السماء وكلّ زوايا الأرض...

لا كلام. فقط عناق...

.

.

.

أدعى باسم. او كما يقولون باسم المجنون او باسم العميق. لك اختيارية اللقب. يمكنك أن دعوتي بكل ما تشاء...

ليس إسمي ما يهم. ما يهم هو ما عشته. قد تقول في نفسك... وما شأني فيما عاشه هذا الأخرق..

لك كل الحق في قولها لا شأن لك حقا في ما عشته. لكن الكتمان قنبلة موقوتة ستنفجر إذا كثر الضغط داخلها...

لا تلمني على أنني أشكو لك حالتي وأنا لا أعرفك.

لا أملك من الرفقة من أشكو له.

كان دوما حلمي أن ألتقي بغريب وأعانقه وأقول أنني أتألم وأرحل بسرعة...

.حتما لا فرصة لي الآن في عناقك فحاجز الكلمات يمنعنا. لكن يبقى لي أمل طفيف يقول بأن ما تملكه من إنسانية سيجبرك على الاستماع إلى حتى وإن كان البعد بيننا يمنعك من مواساتي لا تتردد في الإصغاء الي فليس المواساة ما أطمح إليه حقا. ما أريده هو الاهتمام والإنصات من طرفك...

لنبدأ...

دقت الساعة السابعة في صباح يوم شتوي.

. ماذا...! . هل حان وقت الاستيقاظ حقا.

يال الأسف انا وككل يوم مرغم على مواجهة سوء البشر هذا ليس عدلا حقا.

...: أخرج من غرفتك يا باسم سيغادر جدك قريبا..

: إنني قادم يا أمي كفاكِ تذمرا من وجه الصباح

. خرجت من البيت غاضبا من دون سبب يذكر كالعادة ركبت السيارة وجدي.

لقد كنت مجبرا ككل يوم على تحمل أسئلته وغبائه المفرط...

تكلم قائلا؛: في أي شعبة تدرس أيها الأحمق.

قلت: شعبة الفلسفة يا جدي وأرجوك أن تسرع قبل أن يغلقوا البوابة فأنا لا أرغب في مقابلة الناظر الأحمق مرة أخرى

فقاطعني قائلا بنبرة استهزاء: ماذا؟! ... الناظر.. قصدك ذالك الشيخ الأعرج؟؟ سأبرحه ضربا هذه المرة إذا قاطعك ثانية.

. جدي... أرجوك انتبه أمامك فأنا لست في مزاج يسمح بالمكوث في المشفى..

تكلم قائلا: جيل اليوم... اه لا يحترمون لا الكبير ولا الصغير.

. يال العجب حقا، ينجبوننا في عالم محطم ثم يقولون أننا جيل فاشل (هذا ما قلته في نفسي حينها).

وصلنا المدرسة أخيرا لقد سئمت حقا من ثرثرته. ياله من مدّعي يظن أن بوسعه ضرب الجميع بدون سبب وهو بهذه السن الطاعنة...

نزلت السيارة متمنيا أن لا أحد سيراني فأضطر إلى سماع ما سيقوله من تفاهة ونميمة وحديث عن الناس.

سرت بخطوات خفيفة قاصدا زاويتي المفضلة من المؤسسة. زاوية لا أحد سيفكر أن يجدني هناك لما تحمله من قمامة وفضالات الحمام المقززة. هذا هو العيب في الناس. لا يفكرون.

جلست يومها وحيدا هناك أفكر في حل. حل لا أعرف حتى أي مشكلة سيغطيها من مشاكلي الكثيرة. لا حلول...

أصابني إحباط شديد. لم أستطع أن أجعل من نفسي شخصا سعيدا. كان كل ما يمكنني فعله هو التذمر. التذمر فقط. فتحت هاتفي لأكمل قراءة روايتي المفضلة(أرض زيكولا) كانت رواية جميلة تحكي قصة أرض عجيبة عملتها الرسمية هي وحدة الذكاء. نعم! تتعامل بالذكاء

وأفقرها هو أغباهم وسيذبح في يوم زيكولا الذي يكون مرة كل عام (والله لو كانت تطبق كذا شروط على واقعنا لكان يوم زيكولا يأتي كل ساعة ويُذبح معظم الناس لغبائهم هههه)

. كنت يومها قد وصلت الى جزء من الرواية يحكي عن قصة حب الطبيبة أسيل مع خالد الزائر الجديد مكسّر الصخور، حقا تأثرت كثيرا بما عانياه من أجل حبهما. تمنيت حقا أن يكون لي نصيب من الحب. حبٌ لا خيانة ولا غدر فيه. حبٌ أق. م له كل ما أملك من اللاشيئ.

ومن ذي التي تحبك لطيبة قلبك في أيامنا. يمكن أن تحبك كأخيها فقط.

لا علينا. أكملت المطالعة وانغمست في الرواية ووجدت لي مكانا مع شخصياتها، دخلت الى زيكولا وكسّرت الصخور مع خالد وعالجت المرضى مع أسيل وحكمت البلاد مع الحاكم. كنت أحبهم حقا. أحببت تلك الشخصيات كما لم أحب من قبل. حقا أن تحب ما تقرأه أفضل من حبك للأشخاص من حولك، كلهم خائنون

إلا الكتب... الكتب لا تخون إلا اذا كنت أنت من خانها. لن تحزن الكلمات لفراقك ولن تحزن شخصيات الروايات لفراقك. بل أنت من سيحزن انت الذي ستدمر حينما تدرك غلطتك.

وأجمل ما في الأمر أن الكلمات ستسامحك. ستغفر خطياك في حقها. ستحضنك دائما عندما يتركك من حولك وتجد نفسك وحيدا... أعشق كتبي...

.

.

.

ما كدت أنهي الثلاث صفحات حتى دق جرس الدخول للحجرات.

لم أفهم بعد هل كان الجرس من دق ام طبول الحرب قُرعت. كان الطلاب يتدافعون وكأنهم أمام بوابة الجنة.. الأساتذة يخرجون من الإدارة بتكشيرات خبيثة. المدراء يصرخون بأعلى أصواتهم. المراحيض ممتلئة بالتلاميذ من قسم الممنوعات.

لقد كانت تلك المؤسسة حقا مقبرة لدفن المواهب لا لدعمها.

الرسام تمزق لوحاته و ذو الصوت الحسن يطرد

بالمختصر أن جميع المواهب تموت هناك. باستثناء واحدة. موهبة منتشرة بكثرة عند الذكور وبالأخص نوع (التماسيح) او كما كانوا يسمون أنفسهم (المريولين) الا وهي موهبة شعر الغزل. كانوا شعراء بمعنى الكلمة. لا يتركون بنتا إلا وصبوا عليها قطرة من شعرهم. كانوا يحبون الذل والشتم من عند الفتيات، يجدون لذتهم حين تقول لهم فتات او بالأحرى تذكرهم بعدم تربيتهم. يضربون صديقاتهم وعندما تتدخل للدفاع عن الفتاة تحت شعار (لا للعنف ضد المرأة) تعترضك بما دخلك....

حقا! ما دخلي؟! ولم..

إنه يُربّيني..

ماذاااااا؟ يربيك؟!

اجلدها يا بلال... زدها يا بلال... لترينا مهارتك في التربية ياتمساح لا سهل الله طريقكما..

قال يربيني قال..

صدق جدي.. والله صدق جدي... اذهب انت رابح يا جدي، صدقت جيلنا فاشل. لك الحق في قول ما تشاء.

أنه يربيها.. يربيها يا سادة... هوا بذاته تخصه إعادة تربية ويربيها.. اااااخ يا شهداء الوطن سامحونا.. لقد ذهبت أرواحكم سدا. إن الشباب يا ديدوش مراد باتوا يربون البنات بالضرب أمام المليء. يا ابن باديس.. المؤسسات تمحو المواهب فأين أنت عنا...

دخلنا الى الحجرات او الزنزانات. لك حرية تسميتها بما تشاء.

دخل أستاذ الفرنسية ذو أنف الباذنجان ونظرات النورس.. اول جملة قالها كانت..

بن جدية(لقبي) ارفع رأسك عن الطاولة. اذهب لبيتك ونم قدر ما تشاء.

رفعت رأسي ببطئ شديد ونظرت نحوه ثم عدت للنوم بتريث... أحسست حقا بأنه يتلوى من الغضب لكن ليس بوسعه فعل شيء فالأفضلية للطالب في ذالك الحين.

انتهت حصته وجاء دور حصة الشريعة.

أستاذ ملتحي يشبه أحد الأقزام السبعة. الصغير منهم الذي لبسه أكبر منه...

مرحبا يا طلاب مرحبا يا أسماء كيف حالك وأنتِ يا أميمة اشتقت لكما.. صحيح أميمة كيف حال أمك. أخبرتني أنها مريضة بالأمس.

أجابته بكلمات تكاد تخنقها لشدة الثقل والضغط عليها

. بخير يا أستاذ شكرا لاهتمامك

وبدأ الدرس. لم يكن درس شريعة حينها بل كان درس رذيلة يدور حول ما لبسته جدة حليمة في زفاف خالتها.

كنت أستمع لما يقولونه بلامبالاة، تعودت على هذا.

قلت في نفسي: حقا لو أنني أخذت برأي استاذ الفرنسية وذهبت للمنزل لكان أفضل من الاستماع لثرثرتهم. ثم فجأة جاء في بالي يجب أن أخبر به شخصا مختصا كأستاذ شريعة ربما.

رفعت يدي لطلب إذن التكلم.

. نعم تفضل ولدي ماذا تريد؟ مجرد سؤال أستاذي.

. تفضل اسأله...

. والله يا أستاذ أني كلما قرأت سطرا من القرآن أحس بأن ثقلا في صدري فيمنعني من إكمال القراءة واني كلما أردت الصلاة منعني شيء ما. فما سبب هذا؟

قال لي حينها: بن جدية أرجوك دعنا في الدرس ولا تسأل أسئلة كهذه مجددا..

تفاجئت كثيرا حينها..

هل درسك هو ما تلبسه الجدات في الزفاف؟ ام هو حال أمهات تلامذتك؟ أين الشريعة هنا؟

قلت هذا في نفسي قبل أن أعود للنوم من جديد...

أنها العاشرة صباحا، وقت الراحة

خرجت من الحجرة كأول شخص تحت نظرات أستاذ الرذيلة التي يملأها الاستخفاف (هه طالب فاشل. آخر من يدخل وأول من يخرج. سيندم) هذا ما كنت أفهمه من نظراته المقززة

.

.

.

دخلت ساحة المؤسسة وتنفست بعمق... ااه وأخير هواء نقي. استغفرت الله حين الزفير وتابعت طريقي نحو مكاني المفضل. زاوية الفضالات. كنت أسير ببطئ مطأطأ الرأس. حتى شعرت بأنني ارتطمت بشخص نظرت بسرعة الى ما سببته..

يال جمالها. انها فتاة.

. تابعت طريقي دون طلب السماح ولا حتى كلمة. فإذا بها تدفعني من الخلف. لم أتزعزع حتى. لقد كانت دفعة ضعيفة من فتاة رقيقة جميلة.

استدرت بثقل رأس نحوها .

رمقتها بخزرة مخيفة وتابعت المشي ولم أعرها اهتمام. لكن قلبي يفعل.

«الجريح 2»فاطمة الزهراء (انتهت قبل بدايتها)

اسمها فاطمة. فتاة جميلة تبلغ من العمر 18 عاما رقيقة للغاية، ذات مشاعر جياشة بحق. تتميز بعينين عسليتين جذابتين وجسم جذاب.

كانت تجسد معنى الأنوثة بحق، لم أتحمل مشقة السؤال عنها فكل ما أحتاجه عرفته حين قامت بدفعي في ذالك اليوم.

مرت الأيام وأنا أراقبها بصمت وهدوء تام. أراقب مشيتها وضحكاتها وغمازتيها الجميلتين. رغم أنني أملك مثلهما ألا أنهما كانتا فريدتين.

كانت جميلة بشكل لا يصدق كنت اشعر بشعور رائع كلما اقتربت منها او لمحتها.

لقد أحببتها... وقع باسم في الحب أخيرا.

ذو قلب الحجر وقع في الحب.

تقربت منها تدريجيا حتى جاء يوم وصارحتها.

ذهبت إليها والتوتر يقتلني. كدت أختنق يومها. لم أجد سببا يدفعني للتقدم سوى الحب. لقد كان قلبي سيد الموقف ذالك اليوم.

وصلت إليها وكانت مع وفد من صديقاتها.

ناديتها للانفراد فأتت تجري كطفلة صغيرة نحوي. لن تعبر الكلمات عن لطافتها.

وصلت الي وقالت ويديها خلفها وجسدها يهتز بمرح...

. مرحبا.

. اااا أهلا كيف حالكِ

. بخير الحمد لله. أظنك ناديتني

(كان التوتر يقتلني وملايين الكلمات تريد الخروج)

. اجل ناديتك لأقول شيئا فقط وأرحل

. أتريد الاعتذار عن دفعك لي في ذالك اليوم؟

. كلا أنا لا أعتذر ببساطة هههه.

. وماذا تريد لقد تحمست.

. حسنا بكل صراحة انا أريد أن أعترف بأنك أعجبتني...

قاطعتني قائلة بابتسامة.

. طبعا فأنا أعجب الجميع هههه

. أنا أحبك... نعم لقد قلتها اعترفت لها بحبي.

خيّم صمت رهيب لدرجة أنني أحسست أنه بإمكاني سماع دقات قلبي وهي تتلهف لسماع ردت فعلها..

. تحبني؟ رائع وأنا أيضا أحبك

بهذه البساطة؟ الن تكون هنالك دراما كما في الأفلام؟ ولا حتى اعتراض؟. كلا (قالتها بلامبالاة وبرود رهيب)

. كيف أحببتني أنتِ لا تعرفين عني شيئا؟

. هههه قال لا أعرف عنه قال، أنت يا رأس البطيخة تظن أن الفتاة غبية وسهل التلاعب بها، لقد كنت أعرف أنك تتفحصني كالماسح الضوئي كل يوم، وليكن في علمك يا رأس البطيخة أن ارتطامك بي يومها ليس السبب في جعلي أعجب بك، فأنا لا أحب التأثيرات الغبية كما في المسلسلات.

. يال ثرثرتها، ما هذه الورطة التي أوقعت نفسي بها يا إلاهي.

قاطعت تفكيري قائلة: شيء آخر يا بطيخة...

لا تفكر بصوت عالٍ مرة أخرى لأنني لو سمعتك تنعتني بالثرثارة مجددا سأقشرك.

ثم أردفت وهي تغادر: سنلتقي في الراحة يا أخرق... أحبك.

لو كان بإمكاني تقييم سعادتي من عشرة يومها لقلت مئة... نعم مئة من عشرة.

كانت أول مرة أشعر فيها بشعور مماثل. لم أفهم هل كان حلوا أو مرا... لا يهمني.

إنه رائع..

. دق جرس دخول المؤسسة. مرت ساعتي ما قبل الراحة ببطئ شديد ...

وأخيرا دق الجرس وخرجت كالعادة مسرعا. ليس بلا سبب كالأيام الماضية.

اليوم لدي عمل مهم في هذه الخمس دقائق.

سألتقي بها... نعم فاطمة الزهراء...

. خرجت الساحة مسرعا أبحث عنها، لم أترك مكانا واحدا لم أذهب إليه للتفتيش، حتى أنني تعرفت ودخلت الى أماكن لم يسبق لي دخولها من قبل.

كدت أفقد الأمل حتى شعرت بطقطقة على ظهري. التفت خلفي باذا بها هي الطارقة...

. مرحبا يا غبي أرا أنك كنت تبحث عني؟..

. اااانعم نعم ااه أقصد لا لقد كنتووو. أقصد... لا يهم.

. لا بأس أيها العاشق أعرف أنك كنت تبحث عني. . لا تحرجيني أرجوكِ يا فاطمة

. خخخخخ أرا أن لون البطيخة الأحمر انتقل الى قشرتها...

. ثم لمست أنفي قائلة: ما بال وجهك احمرّ يا فتى. لم أعرف أنك خجول لهذه الدرجة.

دق الجرس... انتهت الخمس دقائق التي كنت أنتظرها بفارغ الصبر. رحلت زهرتي الى صفها. وبقيت وحدي أشتم المدرسة والجرس والأساتذة والعِلم وكل شيء يتعلق به...

دخلنا الأقسام كالعادة، تدافع وضرب وصراخ وكأننا في زريبة، بدأ الدرس والتفاهة والأساتذة الساذجين كالعادة. لم أحب منهم أحد إلا أستاذة الإنجليزية. يال جمالها!!

كانت من النوع الذي يشرح الدروس بالتطبيق. تجري في أرجاء القسم لتوصل لنا فكرة ما. لكن لم يكن أحد يركز على الدرس حينها.

كنا نركز على شيء آخر كلينا نعرف ما هو...

لا علينا...

انتهى اليوم على خير وعدت الى المنزل متلهفا لمحادثة زهرتي على الانستغرام.

بعد أن أعطتني إياه أثناء اعترافي لها أول مرة.

دخلت الى الرسائل بعدما وافقت على طلب صداقتي.

. مرحبا..

. أهلا بطيخ كيف حالك (لم أفهم حقا المغزى وراء مناداتها لي بالبطيخة .كانت أول شخص يتطاول معي في الكلام)

. بخير الحمد لله وأنتِ؟

. قالت: بخير كالعادة

. الحمد لله. صحيح أريد أن أعرف عنكِ كل شيء. عائلتكِ ودراستك وأشياء كثيرة. ليس تطفلا لكن كما تعرفين حال المُحب

. لا توجد مشكلة سنجعل لها يوم مناسبا ونتكلم في الموضوع.

. حسنا ليكن هذا يا زهرتي.

. هههه زهرتك؟

. ألم يعجبك الاسم؟

. كلا إنه رائع هههه.

وهكذا أمضينا السهرة حتى بزغ فجر الجمعة.

الله اكبر الله أكبر....

. زهرتي إنه آذان الفجر سأصلي وأنام تصبحين على خير حبيبتي.

. حسنا. وأنا مثلك سأنام تصبح على خير... . الى اللقاء يا روحي.

.

.

.

كانت لي معلومات تقول بأن الحب لا يكون في أسبوع ولا شهر. لكن حبي كان في يوم واحد. لم يكن هذا منطقيا بالنسبة لي. لكن هناك صوت بداخلي يقول بأنها المناسِبة.

صدقت ذالك الصوت وتركتها للقدر والأيام.

. الأربعاء السادس عشر من آبريل (يوم العِلم)

. مرحبا يا تلاميذ. بمناسبة هذا اليوم الجليل أتقدم بكامل احتراماتي وبكل جوارحي للترحم على ارواح شهدائنا الأبرار. الخلود لأرواحكم الجليلة.

(هذا ما قاله المدير يومها) وأردف قائلا: ايها السادة والسيدات. اليوم هو يوم عظيم يذكرنا بأهمية العِلم والعُلماء في حياتنا وأوجه الكلمة لزميلتي فلانة. ثم تثرثر فلانة لنصف ساعة وتوجه الكلمة

لفلان ليثرثر ايضا. لقد كان يوما مليء بالثرثرة والكلام الفارغ، كنت أختلس النظر الى زهرتي بين الفينة والأخرى لأجدها تبادلني النظرات دون علم مني أن هنالك طرف ثالث ينظر إلينا..

حسام ...

طالب بالثانوية نفسها. أحمق معجب بفاطمة أيضا. لقد عرف أنها معي في تلك اللحظة.

بدأ تخطيطه للتفريق بيننا منذ وصله الخبر.

وكانت خطوته الأولى هي التقرب مني.

.

.

.

انتهى ذالك اليوم على خير . عدت الى المنزل متلهفا كالعادة لمحادثة زهرتي.

فتحت هاتفي ودخلت الى الانستغرام. رحت أنتظر أن تفتح حسابها، راسلتها كثيرا لكنها لم تكن ترد على رسائلي

. مرحبا...

. هاااي زهرتي...

. أين أنتِ

لأشيء. لا يحدث شيء، بدأت أشعر بالقلق عليها فاتصلت بها فلم ترد على، في هذه المرة قلقت حقا بتُّ ليلتي أتخبط ذات اليمين وذات الشمال، لم أتمكن من النوم من شدة القلق، أشرقت الشمس أخيرا يال طول هذه الليلة، نهضت مسرعا من مكاني وخرجت من البيت دون فطور.

.. باسم انتظر جدك لتذهب معه..

. كلا يا أمي سأستقل الحافلة اليوم، الى اللقاء

خرجت الى الطريق وكان المطر غزيرا،

لا حافلة. لا توجد. نظرت الى الساعة فإذا بالوقت تأخر لم يبقى سوى ربع ساعة ومنزلي بعيد أين أنتِ ايتها الحافلة الغبية هياااا.

بعد طول زمن من للانتظار فإذا بجدي يتوقف أمامي..

. اركب يابن الكلب.

ركبت السيارة بسرعة ...

فبدأ ينوّع لي من الكلمات ما ثقل نطقه وخفّ تأثيره فليس من عادتي أن آخذ كلامه على محمل الجد وإلا لكنت قتلته قبل زمن.

. لماذا لم تنتظرني لأوصل أم أنك تستحي أمام العاهرات بجدك وسيارتك (سيارته من نوع بيجو 206 وهو عجوز حادّ اللسان)

. ما عاذ الله يا جدي، تعلم أنني أحبك ولن أبدلك بأموال الدنيا (أسرع فقط أيها العجوز)

. وصلنا أخيرا الى المؤسسة، رحت أسير نحوها داعيا أن لا ألتقي بالأعرج الغبي فإذا به يخرج أمامي.

(. بن جدية! شوف شحال راهي ساعة راهي 8:30 يعني مبقاش وقت)

. أستاذ أرجوك أن تقدر وضعي. أنت تعلم أنني بعيد ولا أعلم ما أصاب الحافلات لأنها تأخرت حقا اليوم. قلت له كلامي ورحت أمشي بعيدا عنه بدون مبالات بردة فعله فإذا بيده تسحبني من المعطف.

رفع يده ليصفعني حينها قائلا (بن الكلب تحسابلك الثانوية تع باباك)

. لم أستطع أن أتمالك نفسي حين كال ابن الكلب، لا أعرف حاقا ما كان يدور برأسي،

وقفت جامدا لبرهة وفجأة وبدون كلام وجهت إليه ضربة برأسي..

. ياا ويلتي... لقد بدأ بالنهاق كالحمار. كان يصيح بشدة،(السي الحاجب شد هذا الفوايو. شدو)

لم أستطع أن لا أهرب حينها فما كان سيحدث لن يحمد عقباه حقا.

دفعته ليتنحى عن الباب ورميت المحفظة وجريت. جريت حينها بكل سرعتي والناظر أبو رجل واحدة يعرج بأقصى ما لديه (هههه حقا وكما نقول بلهجتنا. هم يضحك وهم يبكّي)

يقفز برجل واحدة ويصرخ (يالطحان يالكلب والله ننباسيك عام السنة)

وأنا أركض بدون أن أعيره اهتماما. أجري وفقط، لا أعلم أين أذهب، رغم أنني ابتعدت عنه بحوالي كيلومتر الا أنني ما زلت أجري حتى وصلت الى مقهى عمومي.

. دخلت فوجدت أحد أقربائي هناك فطلب منه هاتفه لأكلم أحدا ما.

. أعطاني الهاتف وعلامات التعجب على وجهه

تفضل يا ابن فلان تفضل

. كتبت رقم عمي في ذالك الحين واتصلت.

(معا لنحمي أنفسنا ضد فيروس كورونا. للحصول على...) قاطعها صوت عمي بمرحبا رشيد.

مرحبا عمي إنه أنا باسم استعرت هاتف رشيد فقط.

. االاه باسم كيف حالك؟، خيرا ليس من عادتك الاتصال

. والله يا عم إنني ارتكبت كارثة ولا أظن أن الاتصال بأبي أو غيره سيحسن من وضعي، فقلت أنك الملاذ الوحيد يا عم.

. خيرا ماذا فعلت هههه

. لقد ضربت الناظر...

شنهي؟! ما تتمسخرش كفاه وو لاه ضربتو وش دارلك) (قاطعني قائلا

. ياعم أرجوك لا تتفاعل بسرعة، دعنا نلتقي ونتحدث في الموضوع.

. حسنا أنا قادم أين أنت؟

. أنا حاليا في (قهوة الجواولة... اسم المقهى الذي كنت فيه)

. ابقى هناك لا تتحرك إني قادم. حسنا لا تطل وأغلقت الخط.

. ابن فلان؟ مرحبا عم رشيد آسف على عدم مصافحتك لقد داهمني الوقت قليلا.

. لا لا لابأس بهذا، لكن ماذا فعلت لقد سمعتك تقول ضربت وضربوني ومن هذا؟

. مشاكل في المدرسة فقط لا تشغل بالك هههه

(حاليا وبحق وجب علي أن أضيف فاصلا إشهاريا طوييلا ونعود لأنه حقا أكثر من النصائح التي بلا معنى)

. وكما قلت لك يا بني المشاكل لن تخرجك على خير وأنا أعرف والدك من كنا صغار...

أنقذني عمي... حقا أنا مدين له بحياتي لقد ناداني إليه وأراحني من المدعو رشيد.

. اااا آسف عمي رشيد لقد أتى عمي وجب علي الرحيل وشكرا على الهاتف (راك تسالني قهوة يااا الحاج رشيد)

. وصلت الى السيارة وما كدت أصعد من الأمام حتى أتفاجئ بشخص هناك

من في رأيك؟

. إنه الجد الكريم أبو شنب. نعم...

فعلها عمي وأحظر جدي معه. وكأنه لم يبقى في العالم شخص آخر ليفضحني من غيره..

. صرخ جدي قائلا:(اركب يا ولد الكلب تديرلي في المشاكل... عرفتها. عرفتها بلي صبحة مش تع خير يالكلب)

. ركبت السيارة دون أن أعير ما قاله اهتماما.

. تكلم عمي: باسم ماذا حدث لقد أخفتني عليك هل أنت بخير؟

(حقا إن عمي محمد من الطف الناس وأقربهم الى قلبي إنه رائع حقا)

. كلا لا تخف ليس بي شيء.

. انفجرت القنبلة الموقوتة المدعوة جدي (سبحان الله وگأنه مضبوط على الصراخ كل خمس ثواني)

. كيف تقول هذا كيف. كيف تضرب رجلا بعمري. هل ربيتك أنا على هذا (لم أفهم حقا لما كان جدي يظن نفسه من رباني)

. لا بأس يا أبي لا ترعب الفتى دعه يشرح لنا أولا

.(واش بقالو يزيد يهدر الكلب وش رح يزيد يقول خلاص راه ندبلها)، هذا ما قاله جدي حينها.

. تكلم يا باسم ماذا فعلت؟

.

. .

أخبرتهم بما حدث بالتفصيل الممل.

. وانطلق بنا عمي الى الثانوية تحت تهديدات جدي بقتلي إن كنت قد زدت كلمة واحدة من رأسي فيما قلته.

. نزلت من السيارة كأول واحد ثم نزل جدي بعكازته السوداء فنزل عمي آخرنا، أقفل الأبواء وأتجه ثلاثتنا الى باب الحجابة.

. دق جدي الباب بعكازه وكان أول ما قاله (وراه بورجل الطحان)

. هدئه عمي وأجلسه على أقرب كرسي ورحنا ننتظر حتى قدم الينا الحاجب نفسه الذي شهد الحادثة.

. اااا إنه أنت... لماذا يا ابني. لماذا تودي بنفسك الى الهلاك. هل تظن أنك بفعلتك هذه ستبدو بطلا أمام أهلك وزملائك؟ لا والله.. لقد دمرت نفسك فقط.

. أجابه جدي بدلا عني: (واش فراك نتآ وش دخلك.. أخدم خدمتك. ديجا روح عيط لسيدك يجي).

. هدئ من روعك يا سيدي أرجوك.

دعنا هادئين فهنا مؤسسة تربوية.

حاولت وعمي أن نهدئ من وضع الجد الانفعالي وبصعوبة ألزمناه مكانه.

. جلسنا حوالى ربع ساعة من الانتظار.

وأخيرا... أقبل الناظر علينا بخطوات غير ثابتة ومسرعة قليلا.

وقف عندنا وقال:

أهل الولد؟؟. تفضلوا معي وليبقى هو هنا.

رفضت بشدة.. يا سيد أنت ستتحدث عني لن أتركك وحدك معهما سآتي رغما عنك.

وقح...

(قالها ويا ليته ما فعل. حقا ارتكب أكبر خطأ في حياته. وجدي سيحاسبه عليها)

انقض عليه جدي بسلاسة ولا كأنه عجوز في السبعين من عمره. حاولت أن أمسكه وعمي والحاجب بصعوبة شديدة.

. كان يوما شاق انتهى بطلبي للسماح للمرة الثانية رغم أنه هو من استفزني ولكن لا بأس.

تنازلت له بطلب السماح ودخلت الساحة منتظرا أن تدق ساعة الراحة حتى أدخل بعدها لمزاولة دراستي.

جلست وحيدا في زاويتي أقرأ روايتي وبالتحديد في الجزء الذي أصبحت فيه أسيل عاملة في الصخور. ما كدت أنهي صفحة منها حتى دق جرس الراحة.

بدأ التلاميذ او بالأحرى المساجين يخرجون من سجنهم تحت أصوات التدافع والصرخات المليئة بالسعادة.

جلسة أتأملهم في صمت غافلا عن روايتي حتى طرق أحدهم على ظهري.

لم أبدي ردة فعل كبيرة..

استدرت خلفي فإذا به حسام ووفد من. صحبته.

مرحبا حسام هل يوجد ما أساعدك فيه؟.

(هنا كنت قد تبادلت بعض الكلمات معه من قبل أي أنه صار يعرفني)

. كلا شكرا لكنك فقط تعديت على شيء من ممتلكاتي يا باسم وصدقني ما كان عليك الاقتراب منها.

. من تقصد؟.. فاطمة؟؟؟!

. نعم فاطمة التي بسببك اوقفها والدها عن الدراسة.

لقد اتهموها بأنها منحرفة وبنت شارع كل يوم مع ولد بسببك.

. أتعرف شيئا؟؟ . انا أخبرتهم بهذا.

. .

.

هنا تجمد الدم في عروقي. وحاولت أن أوجه له لكمة بحيث لن يستطيع الكلام بعدها ولكنني لم أستطع..

كان قد فات الأوان فقد أحاط بي أصدقائه من كل مكان وصرت مقيدا.

لا أكذب عليك. ولكنني قد تلقيت يومها عدد كبيرا من اللكمات من طرفهم. عددا كان كفيلا لجعلي أفقد الوعي قبل أن يأتي الرقابة والحراس لينقذوني منهم وأخذنا للإدارة.

.

هنا بدأت حيياتي بالتغير.

من هنا بدأت المعاناة الحقيقية.

لا زهرة. لا حسام. ولا الناظر.

كلهم اصبحوا من الماضي.

لقد نسيتهم بعد أن طردت من المدرسة بتهمة إثارة الفوضى.

نعم لقد تبين لهم بأنني أنا من بدأ بها...

. فعلها حسام واستخدم خبثه للفرار من العقاب.

لقد تلاعب بالكلمات وفي نفس الوقت بعقل الإدارة.

طردوني...

•••

بعد أيام من طردي لم أكن أعرف ما أفعله.

أمي تقول اذهب لتبحث عن عمل وأبي يقول اذهب للعمل.

لم أعرف هل أعمل أم أبحث عن عمل.

قررت ان أبدأ حياة جديدة.

لم اكن أعرف من أين ولا كيف ، لقد كانت كل أفكاري مبعثرة.

استيقظت في أحد الأيام على صوت الديك الذي يندب بسبب أن الدجاجات باضت.

«الدجاج يبيض والديك تألمه مؤخرته»

خرجت من المنزل والحيرة تسيطر علي. ألم في جسدي لا أعرف سببه. تعب يصيبني من لا شيء.

قصدت المحل المجاور لمنزلي بخطوات ثقيلة ومشية مترنحة. لقد سكرت دون خمرة.

دخلت المحل واقتنيت ما أحتاجه من سجائر وقصدت أحد المقاهي المهترئة التي تلونت بألوان باهتة يملأها الحزن.

مقهى خالٍ من الشباب، عجائز فقط.

لزمت مقعدا خشبي في آخر الزاوية وأخرجت هاتفي لأقرئ رواية جديدة فقد أنهيت قراءة ارض زيكولا بجزئيها، حقا ما زرعته في أماريتا من ملل وخيبت الأمل التي أصابتني حين مرضت أسيل كانتا كبيرتين للغاية.

شعرت ببعض الغيرة حين دخلت منى زوجة خالد المصرية الى زيكولا فقد اعتبرت أنها بلدي والتزمت بقوانينها خصوصا القانون الذي يقول لا أحد يدخل أو يخرج منها.

كالعادة ورحت أقلب على رواية من ما نزلته لأقرأها حتى تصادفت مع كتاب pdfفتحت عارض كنت قد نزلته منذ مدة لمحبوبي وقدوتي نيتشه، كان يحمل عنوان هكذا تكلم زراداشت.

«هكذا تكلم زراداشت»

دائما ما أردت قراءة هذا الكتاب ولكن الدراسة كانت تمنعني والوقت كان ضدي ولكن اليوم حان وقته، لا شيء سيمنعني عنك الآن.

فتحت الكتاب ورحت أقلب بين صفحاته الافتراضية. تخطيت المقدمات المملة كعادتي. فأنا لا أحبها حقا، المقدمات مملة ودائما ما تكون تحفيزية للمتابعة وأنا لا أحب أن يجبرني أحد او حتى يخبرني بفعل شيء. حتى ولو كنت أريد فعله. أرجوك لا تخبرني فأنا سأتركه بعد ذالك.

لا علينا...

شرعت في القراءة ولا أكذبك القول فقد كانت مفرداته وأفكاره صعبة جدا في بادئ الأمر. لم يكن الكتاب موجها لجميع العقول.

انغمست في بحر الكلمات وتهت في غابة المفردات والأفكار. كنت أسهو وأعود للتركيز مع ما يقوله.

أتعرف شيئا؟...

لقد غير ذالك الكتاب حياتي للأبد.

لقد كان أسلوب حياة ولم يكن كتابا عاديا.

كان دستورا او قانونا للذات.

زاد إعجابي حقا بكاتبه بعد قراءتي لبعض من هذا الكتاب.

. لم أكمله في يوم واحد بل رحت أقرأ صفحت واحدة في اليوم. أقرئها عشرات المرات لأستوعب ما كان يقوله فيها.

أنهيت قراءة ما تيسر لي في هذا اليوم ففكرت في الخروج.

لقد كان الجو هناك مملا وبشدة. عجائز وموضوعات تافهة وقهقهات عالية.

ليتني كنت عجوزا فبمجرد التفكير في أنه لا يزال لي عمر مديد وأنني لم أعش سوى القليل منه يشعرني بالإحباط.

دفعت حساب قهوتي الرديئة وخرجت مسرعا من يراني يقول بأن ورائي أعمال مهمة لأنجزها.

عدت من المقهى مشيا على القدمين. كان المطر شديدا والحافلات مكتظة كالعادة. كنت أمشي وأجر خلفي سيولاً من الأحزان تسحبها أغادير المطر.

وصلت بصعوبة الى المنزل، ركبت سيارتنا المعطلة القديمة. كانت تلك عالمي الخاص. أنفرد هناك وأندب حظي وأحياني أدعو ربي رغم تقصيري في حقه الى أنه كان لي أمل أنه لن يتركني.

فتحت صفحتي على الفيس بوك أقلب بين طياتها الافتراضية واتجول بين تفاهة الناس وأشكالهم حتى عثرت على منشور يدعو للتفاؤل وكعادتي أدخل التعليقات لكي أنشر سلبيتي وأحبط جميع المحاولات. لأنني اعرف حقا ان صاحب المنشور لا تهمه سعادتك ولا حزنك هو فقط يهتم بالتفاعلات الغبية التي يجمعها من عند اشخاص أغبياء ضعاف الشخصية يمكن لأي شيء ان يغير مزاجهم بمجرد أمرهم بأن يغيروه.

فعلت فعلتي وبعد ربع ساعة وصلني الرد من فتاة، لم أعتد أن أخاطب فتيات من قبل فأطلقت ابتسامة خبيثةً.

فتاة!!؟ ...

يال الروعة.... سأنشر شِباكي لعله وعسى أن تكون صيدا أخفف به مللي لأيام..

دخلت الرد فإذا هي من أتباع المدّعين لنشر السعادة.

هم أغبياء حقا. يظنون ان كل ما هو أخضر عشب

دخلنا في حوار طويل مليء بالمحاولات البائسة منها لتزيح التجهم عن وجهي...

اتعرفين شيئا؟ لا يمكننا التحدث بحرية هنا.

سأراسلك في الخاص.

. حسنا

استدرجتها للخاص. وكانت هذه اول خطوة لي في الصيد.

_مرحبا..

_اهلا كيف حالك..

_لست بخير وأنت؟

_بخير الحمد لله.. ما سر تجهمك؟

_من تظنين نفسك. لن أخبرك....

مر حديث التعارف سريعا بعد ان اكتشفت أنها تكبرني بأربع سنوات. لاكن لا يهم. فشباكي لا تبالي بالسن ولا الشكل كل من هبّ ودبّ يفي بالغرض...

«آية»

كانت تدعى آية. حادثتها طويلا مرت أيام وأسابيع والشباك لا تزال تنسج حولها.

فكرت في أحد الأيام أن أسحب الشباك.

لم أستطع!!

وكأن شيئا ما يمنعني!

. هل حقا أحببتها؟؟!.

كلاا ايها الأحمق..

هي تكبرك كيف تحبها، إنها في عوض أمك.

كلا لم أقع في هيامها بل وقعت في شباكي التي نسجتها. لقد أصبح الصياد ضحية. يال الخزي كيف لي وأنا صاحب قلب الحجر أن أعجز أمامها.

لا يوجد جاذبية تُضاهي طيبة القلب. ..»

جين أوستن.»

قد تمر بأشد أيامك سوء وقد تفقد الأمل مرارا، لكن الله لا يترك عبدا يتألم، فيرسل اليك ملاكا من ملائكته على شكل إنسان او على الأقل هذا ما بدا لي «آية» اسم على مسما. عنوان للطيبة وآية للجمال.

دخلت حياتي بدون سابق إنذار.

بين ليلة وضحاها باتت آية الهواء الذي أتنفسه. باتت مصدر الإلهام.

«آية» بداية قوس المطر..

نقطة التقاء الشمس مع القمر..

ضالة عاشق الجمال والموجوع...

نعم....

فزت بها.. أنا! أنا! أنا الذي لم يرى فوزا في حياته فزت بآية

هنا بدأت حياتي في الاعتدال.

قالت متى ولدت كي أتذكر عيد ميلادك يا فتى

فقلت والله يا آتي إني ولدت قبل شهرين. يوم عرفتك.

احمرّت وجنتاها من الخجل...

يال جمالها.. رحت أتأمل حسنها. غصت في عينيها. شردت في وجهها . تهت بين كل شعرة وشعرت من رأسها...

عدت الى وعي بعد خمس دقائق من الشرود على صوتها

باسم؟؟

اااا نعم نعم أنا هنا

يال خجلي لقد شردت حقا

كيف حالك صغيري؟

آخ كم كانت كلمة صغيري تشعرني بالسعادة أحسست أنني صغير حقا. لقد ضحكت من أعماق قلبي لأول مرة وأخيرا طبّق إسمي معناه...

باسم تبسّم!

يال الروعة حقا

قالت أتيت إليك حتى أسمعك »

فاقصص على قلبي و قل ما أوجعك

فلزمت صمتي حين أصغت سمعها

قالت تحدّث لا تخف إنّي معك

قتلوا فؤادك شتتوا فيه الهوى

هم فرّقوك و قد أتيت لأجمعك

من لطفها ثغري تبسّم ضاحكاً

قالت تبسّم يا فتى ما أروعك....»

بخير الحمد لله. آسف لقد شردت قليلا...

لابأس صغيري لا تعتذر مني مرة اخرى.

انا تحت أمرك يا جميلة..

.

.

.

افترقنا بعد ساعات من الحديث وليتها لم تمرّ بهذه السرعة

حقا... يمر الوقت ونحن بجوار من نحب بسرعة كبيرة عكس ما يمر ونحن ملزمين بالبقاء مع من نكره..

مرت الايام والأسابيع والشهور. اكتملت السنة على معرفتي بآية..

اليوم عيد ميلادي السابع عشر من مايو. في مثل هذا اليوم حزن الربيع لولادتي.

وشاء القدر أن يلد نحسي معي. فبمجد ولادتي جفّ البئر الذي كان مصدر رزق العائلة. واصاب أمي مرض مزمن في ظهرها ولا يزال معها لليوم.

حقا أريد أن أعتذر من عائلتي. من جدي الذي نهشت الفأس يديه أثناء حفره للبئر.

اريد الاعتذار عن الأزمة المالية التي صحبت ولادتي.

(٢٠٠٥عام الفقر والحزن)

•••

اليوم ولدت أنا ونحسي وكل شيء سيئ.

حتى رئيس البلاد لم يره أحد منذ ذالك العام.

حتى الرئيس اختفى في عام الفقر.

كانت ليلة باردة مثلجة. الرياح تعصف وتهدم كل ما هو هش. حتى القلوب الهشة تهدمها.

. قالوا أن أمي الغالية كانت تصرخ من شدة الألم في ذالك اليوم، كان أول ألم سببته لها ولم يكن الأخير.

. اتصلوا بأبي من المنزل وهو في عمله فأتى بأسرع ما يمكنه.

وصل الى البيت بثيابه المبللة والرثة...

اين هي؟ مذا حدث؟.....

اتصل والدي يومها برشيد قريب العائلة. لقد كان الوحيد الذي يمتلك سيارة.

. الو.... مرحبا رشيد، هل يمكنك القدوم الى المنزل الان؟

.في هذا الجو!!! لا أظن هذا

. يجب ان تأتي لنأخذ زوجتي للمستشفى إنها في حالة حرجة اسرع من فضلك.

.حسنا انا قادم لا تقلق سأصل قريبا.

...

بعد ربع ساعة من القلق والتوتر وصل رشيد.

اوصلوا امي الى السيارة بصعوبة، أركبوها وانطلقوا للمشفى.

أدخلوا والدتي الى الغرفة وبعد خمس دقائق خرجت الطبيبة لتعلمهم بأنني سآتي قريبا.(قريبا سيصيبكم النحس بسببي).

.

.

.

. ساعات من الانتظار مرّت وكأنها أيام على عائلتي.

الجميع يتساءل عن شكلي وكيف سأكون، خصوصا جدتي، كانت مهتمة حقا حسب ما قالوا لي.

. خرجت الممرضة أخيرا وهي تحمل لهم بشرى ولادتي.

(١٧من مايو ٢٠٠٥ ليلة الإثنين)

حملوني والسعادة تتملكهم. جاءهم ذكر سليم مكتمل النمو. كانوا سعداء جدا لولادتي.

.

(١٧مايو ٢٠٢٢)

اول عيد ميلاد لآية معي او بالأحرى أول عيد ميلاد لي معها وبين الأول والأول اختلاف.

كانت أول من يتمنى لي طول العمر. وأول من يتذكر عيد ميلادي،

.

.

.

(عِشْ ما شئت فإنك ميّت واحبب من شئت فإنك مفارقه واعمل ما شئت فإنك مجزيّ به ..)

لقد أحببت وفارقت ولم أعش من الدنيا سوى لحظات.

خرجت ليلة الجمعة لأحتسي سيجارتي في شرفة البيت فإذا برسالة تصلني...

. مرحبا باسِم.. كانت هكذا تنطقها باسِم مع كسر السين..

. مرحبا آيتي كيف حالك؟

. لست بخير..

. خيرا هل حصل شيء ما لك؟

. كلا لا تخف لم يحصل شيء لي.

. ماذا إذن؟

. صغيري...

. تكلمي آية لقد أخفتني.

. يجب أن أتركك الآن صغيري.

. هههه مزاحك الاعتيادي.

. كلا لست أمزح هذه المرة. لقد خطبت لابن عمي وكما تعرف أن عائلتنا محافظة جدا. لقد أجبروني على الموافقة مدعين أنه لا حق لي في رفضه. يجب أن أرحل الآن... ووداعا.

. هههه لن تفـ....(لا يمكنك الرد على هذه المحادثة.. تعرف على المزيد)

. تم الحظر...

. تجمدت في مكاني، لم أعرف لم تدور الأرض بهذه السرعة، أسئلة باتت تراودني، ملايين منها.

هل سأعود للإكتئابي؟. كيف سأعيش الآن؟. أين ومع من سأعيش؟

كنت يومها أريد البكاء وبشدة، لكنني لم أعرف كيف يتم ذالك. لقد نسيت بسببها كيف أبكي!.

لقد حرمتني من دمعي!

«أغمضتُها كي لا تفيضَ فأمطرت

أيقنتُ أني لستُ أملكُ مدمَعي»

.

.

.

.

جلست لساعات طويلة ومتأخرة من الليل. ينتابني شعور بالجنون والحزن الشديد كنت لا أكاد أشبه البشر.

تهت في عالم لا أعرف ما هو او من كان فيه فإذا بوديان من الدموع تسيل وحدها. سالت كما لم تفعل من قبل.

أدركت حينها أن آية لم تحرمني من الدمع. لم تحرمني آية من الحزن والبكاء.

آية كانت تقيّدهم بخيط سحرها.. الخيط الذي تمزق بعد رحيلها ففَك قيد كل ما له علاقة بالحزن.

هجمت علي الأحزان هجوما الضباع الجائعة، كانت تنهش روحي بكل ما لها من قوة. تمزّقت بعد رحيلها...

بتُّ ليلتي كالغزال اليتيم. لم أغمض عيناي لما يحملانه من حرقة الدمع.

قضيت تلك الليلة لاعبا دور الحارس على النجوم

حتى بزغ الفجر. ثم لم أتذكر شيئا...

سقطت كالرضيع نائما. تمكن التعب مني ونمت

(الساعة التاسعة صباحا)

. استيقظت ولي أمل بأن كل ما حدث بالأمس حلم.

. لي أمل بأن آية ستقول لي صباح الخير صغيري.

.لي أمل بأنها ستوبخني على سهرتي كالعادة...

. كان أملي كبيرا حقا. لكنه خاب....

. ليس حلما...

. ذهبت حقا. ذهبت ولن تعود.

. لم أغادر غرفتي يومها. لقد اصبحت كالمجنون لا أعرف ما أفعله.

. اغلقت الباب على نفسي ولم أسمح لأحد في الدخول الي.

.

.

.

مرّت أيام والحزن يقطعني. كنت أحس بألم في قلبي حقا. ألم حقيقي بالقلب. لكنني كنت أتعافى تدريجيا.

لم أعد أشعر بالسوء ذاته.. بل تقبلت الحقيقة..

ولكنها كانت مرة جدا. مرةً بالقدر الذي لن يستطيع فتى في ١٧ تحمله. كنت صغيرا على هذه المعاناة. عقلي لم يكن يستوعب فكرة أن الدنيا قضاء وقدر. كنت أعتقد بأن كل من دخل حياتي فهو لي ولا أقبل مشاركته مع أحد.

لكن هذه المرة. خاب اعتقادي، لقد رحلت ورحل معها كل شيء.

قلبي... وروحي... وجسدي..

لقد ذهب كل شيء حرفيا.

لم تعد لي رغبة في الحياة. لقد كانت من قبل توصيني بأن لا أعلق بأحد مهما كان قريبا مني. لقد كانت تعرف بأنني جعلتها ملكة على عرش حياتي، كانت تعرف بأنني وهبتها قلبي وكل جوارحي، لقد حاولت أن تلمِّح لي بطريقتها بأن أخفف من تعلقي بها قليلا، كانت تعرف بأنها سترحل يوما ما لتترك قلبي مكسورا بعد أن جُبر بسببها.

مرت الأيام والأسابيع على رحيل آيتي.

كان حبي لها من نوع خاص جدا...

ليس الحب الذي تتمنا ان يكون لك في الحلال.

وليس من النوع الأخويّ.

كان حبا من نوع فريد. كنت أريدها لي فقط .

. ايقنت بعد فترة بأنني تماديت كثيرا في حبي لها وأفرطت فيه.

مرت الأسابيع والأشهر على رحيلها. حتى تعود جسدي عليه. فما باتت الأعين تدمع ولا الرأس يؤلم.

لكن القلب مازال متعلقا بها.

كنت دائما أفكر بها.

لقد وعدتني يوما بأنها ستطبخ لأتذوق من يديها.

وعدتني بأشياء كثيرة من قبل ولم تفِ بوعدها. هذه كانت حياتي.

هذا ما عاشه فتى لم يبلغ السابعة عشر من عمره.

. تعلمت أشياء كثيرة من ما عشته في هذه السنة.

. تعلمت بأن لا أتعلق بأي أحد وأن لا أحب أحدا وان لا أدخل حربا نتيجتها محسومة منذ البداية.

. فأما فاطمة فلا خبر عنها لليوم.(انتهت قبل بدايتها)

. وأما آية فما زالت في القلب عالقة لا تبرح مكانها . أغلقت على اسمها بأقفال الحب في غرفة الهيام بقلبي ورميت المفاتيح في بحر الشوق الذي أغرقني.

. وأما الناظر فقد أصبح مديرا في مؤسسة تربوية أخرى نسأل الله السلامة لطلابها.

.جدي حي يرزق أسأل الله له طول العمر والصحة الدائمة.

.

واما أنا فاتّبعت طريق الرحمان وها أنا أسعى اليوم لتحقيق حلمي بأن أصبح كاتبا مشهورا. يرفع من شأن بلده ويجعل الجميع فخورا به. بعد ما قررت مزاولة دراستي عن بعد.

. صحيح أن كل شيء في حياتي يعتبر حاجزا يمنعني من الوصل الى ما أريده ولكنني سأحارب من أجل أن أصل وسأصل لأن الله تعالى معي وأحبابي وعائلتي لازالت معي ونفسي وجسدي معي.

سأصل رغم أنوف جميع من يأمل عكس هذا.

. صدقني، ان تصبح ثريا هو أقسى انتقام منك للديدان.

وهاهنا أختم حكايتي لك.

.

.

.

هنا سمعنا ما قاله بطل قصتنا. وأيقنا أن للجميع هموما ومشاكل ولو كانت تافهة للبعض فهي لذويها نار تلتهم القلوب.

وتعلمنا بأن الحياة لا تعطينا كل ما نريده وأن اللجوء الى الله هو الحل الوحيد الذي يضمن لنا حياة هنيئة وآخرة مثلها.

بطلنا لم يعش من الحياة إلا هنيهةً وهذا ما أكسبه الحكمة التي يحتاجها ليتابع حياته تحت جناح عائلته وبحماية وتوفيق ربه.

أخبرني بأنه سيكون الشخص الوحيد الذي لن يتمنى يوما أن شبابه يعود.

نختم قصتنا بالصلاة والسلام على سيدنا ونبينا وحبيبنا وشفيعنا محمد ﷺ

والى اللقاء في رواية أخرى.